

كلمة رئيس الجامعة الأنطونية الأب ميشال السغبيني
في حفل إطلاق العدد الخامس عشر من سلسلة "إسم عَلم" المخصّص للدكتور فوّاز طرابلسي
٢٦ أيلول ٢٠٢٦

أيّها الحضور الكريم،

يسعدني أن أرحّب بكم في هذا اللقاء الذي نحتفي فيه بإطلاق العدد الخامس عشر من سلسلة "إسم عَلم" المخصّص للدكتور فوّاز طرابلسي، ونحتفي في الوقت نفسه بعودة هذه السلسلة إلى الحياة الثقافية والأكاديمية بعد غياب دام ست سنوات. بين الغياب والعودة مسافة لا تُقاس بالزمن وحده، بل هما يتركه الغياب من أثر، وهما تحمله العودة من معنى.

لقد فرضت السنوات الماضية على وطننا ومؤسّساتنا ظروفًا قاهرة متلاحقة، وكان من الطبيعي أن تطال انعكاساتها الحياة الثقافية والمؤسّسات الجامعية. لكنّ توقّف "إسم عَلم" لم يكن انكفاءً عن الرسالة، ولا تراجعًا عن الإيمان بالكتاب والثقافة؛ كان أشبه بفترة صمتٍ اضطراريّ، قبل أن يستأنف الفكر مسيرته.

واليوم، إذ تعود السلسلة، فإننا لا نستأنف مجرد مشروع نشر، بل نجدّد إيماننا بأنّ الجامعة لا تكتفي بإنتاج المعرفة، وإثّما عليها أيضًا أن تحفظ الذاكرة، وأن تفتح مساحات الحوار، وأن تجعل الكتاب جسرًا بين ما عشناه وما نريد أن نفهمه، بين الذاكرة والحاضر والمستقبل .

لقد استطاعت سلسلة "إسم عَلم" أن تكرّس لنفسها مكانةً مميزة، من خلال توثيق مسارات شخصيات تركت أثرًا في حياتنا الفكرية والثقافية. وها هي تعود اليوم، في عددها الخامس عشر، لتستكمل هذه المسيرة. وهل يمكن للعودة أن تكون أكثر دلالة من أن تتزامن مع تكريم شخصية بحجم فوّاز طرابلسي؟

أيّها الحضور الكريم،

فوّاز طرابلسي ابن جيلٍ عاش أحلام التغيير، وصعدَ اليسار والثورات، ثم عاش الانكسارات والهزائم. جيلٌ بقي كثيرٌ من أحلامه أحلامًا، فيما تحوّل بعضٌ ما تحقّق منها إلى خيبات. ومع ذلك، لم يكن هذا الجيل جيل الاستسلام؛ كان يعود، كلّما تحطّمت مشاريعه، ليسائل الفكر والتاريخ والواقع من جديد. ولعلّ فوّاز طرابلسي يجسّد هذه التجربة بأوضح صورها.



هو ابن مرحلة سياسية وفكرية عاصفة في تاريخ لبنان المعاصر تلاطمت فيها القوميات والأيديولوجيات، وتجاورت فيها الحداثة والطائفة، الحرية والعنف، الثقافة والحرب، الأحلام والانهيئات. وفي سيرته شيء من سيرة لبنان نفسه: ذلك الوطن الذي كثيراً ما بدا وكأنه يعيش على حافة المعنى؛ يتأرجح بين الانفتاح والتوقع، بين الرغبة في بناء دولة حديثة والخوف من فقدان هويّاته المتعددة.

من داخل هذه التناقضات تشكلت تجربة فؤاز طرابلسي الفكرية والسياسية. لكنّها لم تبق أسيرة موقع سياسي أو تنظيمي، بل تحولت إلى قدرة نادرة على تحويل التجربة إلى مادة للتأمل والنقد. وهنا تكمن، في تقديرنا، إحدى أبرز ميزاته الفكرية: أنّه لم يتعامل مع السياسة بوصفها يقيناً نهائياً، بل بوصفها مجالاً دائماً للاختبار والمراجعة. ولم يفصل المعرفة عن الالتزام، ولا الفكر عن مصير الإنسان والمجتمع والتاريخ.

لقد بقي منحازاً إلى السؤال أكثر من انحيازه إلى الجواب الجاهز، وإلى النقد أكثر من انحيازه إلى العقيدة. وهذا ما يجعل تجربته، اليوم، ذات صلة خاصة بنا. فبعد أن شهد جيله تحول بعض الأحلام الكبرى إلى خيبات، لم يتحوّل طرابلسي إلى شاهد على الخراب، ولا إلى أسير حنين إلى ماضٍ انتهى. بقي وفيّاً لفكرة النقد بوصفها فعل مقاومة، وللمعرفة بوصفها مسؤولية. ومن هنا أيضاً تبرز أهميته كمؤرخ ومفكر.

فالتاريخ، في كتاباته، ليس أرشيفاً جامداً للأحداث، ولا سرداً بطولياً تصنعه الشخصيات الكبرى وحدها. إنّهُ شبكة من المصالح والصراعات والأحلام والخيارات؛ وهو، قبل كلّ شيء، ذاكرة حيّة تستمر في تشكيل حاضرنّا. ولهذا كان يفتش في ما تخفيه الروايات الرسمية، ويمنح مساحةً لمن غابوا طويلاً عن السرد التاريخي: للعمال والمهمّشين، لكلّ الذين يصنعون التاريخ بصمت، بينما يحتكر آخرون روايته. في هذا المعنى، تصبح كتابة التاريخ دفاعاً عن الذاكرة ضدّ النسيان، وعن التعقيد ضدّ التبسيط، وعن حقّ الإنسان في أن تُسمع تجربته.

وخلف السياسة والتاريخ والنقد الاجتماعي، يطلّ سؤال إنسانيّ أعمق: كيف يمكن للإنسان أن يبقى إنساناً في عالم يزداد قسوةً وعنفاً وتشيعاً؟ وهنا تلتقي قضايا العدالة والحرية والكرامة الإنسانية، وهي قضايا تتقاطع بوضوح مع هوية الجامعة الأنطونية، التي تجعل الإنسان وقيمه وكرامته في صميم رسالتها.



إنّ تكريم فوّاز طرابلسي اليوم ليس تكريماً لشخص فحسب، بل هو، بطريقة ما، تكريم لفكرة المثقّف الذي لا يتوقّف عن السؤال؛ للمعرفة التي لا تنفصل عن المسؤولية؛ للكتاب الذي لا يكتفي بأن يخبرنا بما حدث، بل يدفعنا إلى التفكير في معنى ما حدث. وفي زمن يتراجع فيه الفكر أمام الضجيج، ويختزل التاريخ أحياناً في شعارات وهويّات متصارعة، تصبح العودة إلى هذا النوع من الكتابة حاجةً ثقافيّة وأخلاقيّة. إنّها دعوة إلى التفكير لا إلى الاصطفاة؛ إلى الفهم لا إلى الأحكام الجاهزة؛ إلى مساءلة التاريخ بدل الاحتفاء به.

ومن هنا، فإنّ عودة "إسم عَلم" اليوم تحمل أكثر من معنى. إنّها عودة إلى النبع الذي منه تستمدّ الجامعة جزءاً أساسيّاً من رسالتها: البحث، والكتاب، والحوار، والذاكرة، والإنسان.

ففي هذه المناسبة، أودّ أن أتوجّه بالشكر والتقدير إلى الدكتورة بسكال لحود، التي حملت هذا المشروع بإيمان وإصرار. كما أتوجّه بالشكر إلى أسرة منشورات الجامعة الأنطونيّة، وبخاصّة إلى مديرها السابق الأب الياس شخطورة، وإلى جميع الباحثين والمفكرين الذين أغنوا هذا العدد بدراساتهم وقراءاتهم، وإلى كلّ الذين ساهموا في إعداد هذا اللقاء المميّز.

وأشكر، قبل كلّ شيء، الدكتور فوّاز طرابلسي، على ثقته بالجامعة الأنطونيّة، وعلى هذا الإرث الفكريّ الذي أتاح لنا أن نقرأه، ونناقشه، ونختلف معه أحياناً، لكننا لا نخرج منه إلّا أكثر رغبةً في التفكير.

أستاذ فوّاز، هذا الكتاب ليس فقط عنك. إنّّه، بطريقة ما، عن زمنك، وعن لبنان الذي عشته وكتبته وناقشته، وعن أسئلة ما زالت مفتوحة أمامنا. وإذا كانت قيمة المثقّف تُقاس بما يتركه من أثر، فإن بعض الآثار لا تكون أجوبةً نحتفظ بها، بل أسئلةً لا نستطيع بعد ذلك أن نتجاهلها. ولعلّ هذا هو الأثر الأجل.

أهلاً بك في الجامعة الأنطونيّة، وأهلاً بالعدد الخامس عشر من "إسم عَلم". إنّنا نأمل أن يكون هذا العدد فاتحة عهد جديد للسلسلة، كي تستعيد دورها في الإضاءة على الشخصيات التي صنعت جانباً من ذاكرتنا الثقافيّة والفكريّة. لتبقى الجامعة الأنطونيّة فضاءً للعلم، وملتقىً للفكر والحوار، وحاضنةً لذاكرة حيّة لا تخاف السؤال. وشكراً لكم.

